ASJP Algerian Scientific Journal Platform

مجلة التواصلية

ISSN 2437-0894- EISSN 6202-X537

HTTPS://WWW.ASJP.CERIST.DZ/EN/PRESENTATIONREVUE/294

المجلد:12العدد: 02 (2026) ص 66/79

تحليل الوظائف التداولية في خطاب سورة النساء من منظور لسانيات هاليداي الوظيفية

Analysis of Pragmatic Functions in the Discourse of Surah An-Nisa from the Perspective of Halliday's Functional Linguistics

رسول بلاوي*	علي رضا پريزن	سجاد سلامات
جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران	جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران	جامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز، إيران
r.balavi@scu.ac.ir	al-perizan@stu.scu.ac.ir	sajadsalamat1380@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال: 2026/04/18

تاريخ القبول: 2026/04/28

الكلمات المفتاحية:

- ✓ الوظائف التداولية
- ✓ الخطاب
- ✓ هاليداي
- ✓ سورة النساء

الملخص

يشكّل مفهوم التداولية إطاراً أساسياً لفهم تفاعل النص مع المتلقّي والبيئة الاجتماعية، إذ تعتبر اللغة أداة ديناميكية لنقل المعاني، وبناء الصور الذهنية، وتنظيم العلاقات، وتوجيه السلوك بما يتوافق مع القيم الاجتماعية والدينية. الوظائف التداولية تمثّل أداة رئيسية لتحليل النصوص القرآنية، إذ تتيح دراسة بناء المعنى ونقل الرسائل بفعالية. وفق هاليداي، تنقسم هذه الوظائف إلى ثلاثة: التصورية، التعالقيّة، والنصية، ما يجعل التداولية أداة محورية لفهم النصوص القرآنية بدقة. يهدف البحث إلى تحليل أبرز الوظائف التداولية في سورة النساء وفق النظرية الوظيفية لهاليداي، مع التركيز على كيفية توظيف النص لبناء تصور متكامل للواقع الاجتماعي والديني، وتعزيز التفاعل وضمان وضوح الرسالة وترابط عناصرها، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي لتحليل النصوص واستخلاص الوظائف التداولية ودور التراكيب اللغوية والروابط الداخلية في دعمها. توصل البحث إلى أن الوظائف التداولية في سورة النساء تتجلى من خلال الوظائف الثلاث لهاليداي، إذ تظهر الوظيفة التصورية في تصوير النص للعالم الإنساني والاجتماعي والديني عبر عرض خلق الإنسان وعلاقاته الأسرية وواجباته، مما يمنح المتلقي صوراً ذهنية متكاملة، بينما تكشف الوظيفة التعالقية عن أساليب المخاطبة المباشرة والتوجيهات والتحفيز الأخلاقي لتعزيز المشاركة وتقوية العلاقات الاجتماعية والدينية وترسيخ القيم الأخلاقية، وتعمل الوظيفة النصية على تنظيم المعلومات وربط الأفكار عبر التكرار البنيوي والتوازي والتدرج التفصيلي، مع الروابط اللغوية والتراكيب الداخلية التي تعزز وضوح النص وترابطه، ما يمكّن القارئ من إدراك العلاقات بين الواجبات الفردية والجماعية والتوازن بين الالتزامات الاجتماعية والدينية، ويظهر قدرة النص على تقديم محتوى متكامل يغطي جميع جوانب الحياة ضمن سياق مترابط وواضح.

Article info

Received 18/04/2026

Abstract

The concept of pragmatics forms a framework for understanding the interaction of a text with its recipient and social environment. Language is a

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

dynamic tool for conveying meanings, constructing mental images, organizing relationships, and guiding behavior according to social and religious values. Pragmatic functions are key for analyzing Qur'anic texts, as they allow the study of meaning construction and message transmission. According to Halliday, these functions are divided into three categories: conceptual, relational, and textual, making pragmatics pivotal for understanding Qur'anic texts. This research analyzes the most prominent pragmatic functions in Surah An-Nisa according to Halliday's theory, focusing on how the text constructs an integrated understanding of social and religious reality, enhances interaction, and ensures clarity. The descriptive-analytical method is used to analyze the texts, extract pragmatic functions, and examine the role of linguistic structures and internal links. The research concluded that pragmatic functions in Surah An-Nisa appear through Halliday's three functions. The conceptual function is evident in portraying the human, social, and religious world through creation, familial relationships, and duties, providing comprehensive mental images. The relational function shows direct address, guidance, and moral motivation to promote participation, strengthen social and religious ties, and solidify ethical values. The textual function organizes information and connects ideas through repetition, parallelism, and progression, along with linguistic links that enhance clarity. This enables the reader to grasp relationships between individual and collective duties and the balance between social and religious obligations, demonstrating the text's ability to present integrated content within a coherent context.

Accepted
28/04/2026

Keywords:
- ✓ Pragmatic functions
- ✓ discourse
- ✓ Halliday
- ✓ Surah An-Nisa.

1. المقدّمة

اللغة ليست مجرد وسيلة لنقل الكلمات والمعاني، بل هي منظومة معقدة من الرموز والأدوات التي تسمح للبشر بالتفاعل والتواصل، وتشكل وسيلة لفهم الواقع ونقل الخبرات والمشاعر والأفكار. تتسم اللغة بالديناميكية، إذ تتغير وتتطور بحسب السياق الاجتماعي والثقافي والنفسي للمستخدمين، كما تتأثر بنوايا المتحدث وقدرات المستمع على التفسير والاستيعاب. ومن هنا تنشأ أهمية دراسة التداولية، التي تهتم بفهم اللغة بوصفها أداة عملية لتحقيق أهداف محددة، وليست مجرد وسيلة لنقل المعنى الحرفي للكلمات.

تركز التداولية على كيفية استخدام اللغة في مواقف تواصلية محددة، حيث يتم النظر إلى العلاقة بين المرسل والمستقبل والسياق الذي تُوجّه فيه الرسالة. فهي تكشف الطرق التي يمكن للخطاب أن يوظف بها اللغة لتحقيق أغراض متعددة، مثل إيصال المعلومات، التأثير في المتلقي، وتنظيم التفاعل الاجتماعي بطريقة فعّالة. كما تسمح التداولية بفهم الفروق الدقيقة في الاستخدام اللغوي، وكيفية اختيار المتحدث للألفاظ والعبارات وفقاً للموقف والغرض، مما يجعلها أداة أساسية لتحليل النصوص وفهم أبعادها العملية والمعنوية. يقدّم اللغوي مايكل هاليداي إطاراً وظيفياً شاملاً لدراسة التداولية، يوفر أدوات دقيقة لفهم اللغة في سياقها التواصلي. يعتمد هذا الإطار على تحليل كيفية توظيف الخطاب للغة لتحقيق أهدافه، سواء في نقل المعاني، أو التأثير في المتلقي، أو تنظيم الرسائل بطريقة تحقق التواصل الفعّال. ويتيح نموذج هاليداي إمكانية دراسة النصوص الدينية والأدبية بعمق، لفهم الأساليب التي يستخدمها الخطاب في إدارة التفاعل مع المتلقي وتحقيق أهدافه التواصلية بنجاح.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يهدف هذا البحث إلى تحليل أبرز مظاهر الوظائف التداولية في خطاب سورة النساء من منظور هاليداي، مع التركيز على الطرق التي تُستثمر بها اللغة القرآنية في إيصال المعاني والتأثير في المتلقي وتنظيم الرسائل. يعتمد البحث على المنهج الوصفي – التحليلي، الذي يسمح بدراسة النصوص بعمق وتصنيف ممارسات التداولية وفق منظور هاليداي، للوصول إلى قراءة علمية دقيقة وشاملة لخطاب سورة النساء من منظور وظيفي تداولي.

من خلال البحث نحاول الإجابة عن السؤالين الآتيين:

– ما أبرز الوظائف التداولية في خطاب سورة النساء وفق منظور هاليداي الوظيفي؟

– كيف تسهم الروابط والتراكيب بسورة النساء في بناء الوظيفة النصية وفق نموذج هاليداي؟

1–1. خلفية البحث

– كتبت سارة بولند بحثاً بعنوان «الوظائف التداولية للحوار المسرحي– مسرحية بيت الدمية لنهريك إبسن أنموذجاً»، ونشرت في مجلة الطفولة والتربية، (2020م). ركز البحث على الوظائف التداولية للحوار في المسرح، أي دراسة كيفية استخدام الحوارات بين الشخصيات لتحقيق أهداف متعددة مثل الكشف عن الشخصيات، دفع الأحداث، ونقل رسائل اجتماعية وأخلاقية. استخدمت مسرحية "بيت الدمية" لإبسن نموذجاً لتحليل هذه الوظائف، وتوصل البحث إلى أن الحوار المسرحي يتجاوز نقل المعلومات، ليصبح أداة أساسية لتوجيه تفاعلات الشخصيات وتأثير الجمهور على الموضوعات الاجتماعية والنفسية المطروحة.

– هناك دراسة للباحثة الزهرة كلال وعزالدين عماري عنوانها «الوظائف التداولية في مشروع أحمد المتوكل– دراسة تطبيقية لنماذج من القص العبثي العرفي من خلال «مراسي السر المغترب» لصالح غيلوس»، نشرت هذه المقالة مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، (2023م). درس البحث الوظائف التداولية في النصوص العبثية العرفية. تم التركيز على كيفية استخدام المؤلف للوظائف التداولية في تنظيم الحوار والسرد وبناء المعنى داخل النص. أظهرت النتائج أن هذه الوظائف تلعب دوراً مهماً في توضيح العلاقة بين الشخصيات، ونقل الرسائل الضمنية، وإشراك القارئ في تفسير النص. كما بينت أن التحليل التداولي يسهم في كشف العمق البلاغي والأسلوبي للأدب العبثي، ويعزز فهم العمليات الاتصالية التي يقوم عليها النص.

– مقالة للباحث نبيل حويلي عنوانها «الآليات التداولية والبلاغية في خطاب القرآن الكريم –سورة يوسف أنموذجاً–»، تم نشر هذا البحث في مجلة الممارسات اللّغويّة، (2023م). تناولت الدراسة تحليل الآليات التداولية والبلاغية في سورة يوسف من القرآن الكريم، مستعرضاً الطرق التي يستخدمها النص القرآني لإيصال المعاني وتأثيرها على المتلقي. أظهرت النتائج أن الخطاب القرآني يعتمد على تقنيات تداولية دقيقة لتعزيز الفهم والإقناع، مع دمج البلاغة في صياغة الرسائل الدينية. كما أبرز البحث أن هذه الآليات تسهم في تنظيم النص، وترسيخ المعاني، وتوجيه القارئ نحو التأمل والتدبر، مما يعكس توازناً بين الوظائف التداولية والبلاغية.

– دراسة للباحثين آفرين زارع وفريبا روستايي بعنوان «السبك في النص القرآني وفقاً لنظرية هاليداي وحسن (سورة طه نموذجاً)، نشرت في مجلة التواصلية، (2023م). استكشف البحث خصائص السبك في سورة طه وفق منظور هاليداي وحسن، مع التركيز على الطريقة التي ينظم بها النص القرآني المعاني ويعزز التواصل مع القارئ. أظهر التحليل أن النص يحافظ على انسجام لغوي وتواصل فعال مع القارئ، حيث يساهم السبك في تعزيز فهم المعاني وإبراز التفاعل بين البنية الأسلوبية والوظيفية للآيات.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

– مقالة للباحثة مها النوامسي عنوانها «وظائف الخطاب التواصلي عند هاليداي وجاكبسون: رؤية تداولية»، ونشرت في مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، (2024م). تناولت الدراسة وظائف الخطاب التواصلي وفق رؤى هاليداي وجاكبسون من منظور تداولي، مع التركيز على كيفية تطبيق هذه الوظائف في النصوص لفهم العلاقات بين المتحدث والمستمع وسياق التواصل. كشف التحليل أن الخطاب التواصلي لا يقتصر على نقل المعاني فحسب، بل يسهم أيضاً في تنظيم الرسائل وتعزيز التفاعل بين أطراف التواصل، كما يبرز دور الوظائف التداولية في توضيح الغرض من النص وتوجيه استجابة المتلقي.

– كتب آلاء الطويسي دراسة تحت عنوان «الأبعاد التداولية في النصوص القرآنية في ضوء علم اللسانيات –سورة الواقعة أنموذجاً»، نشر هذا البحث في مجلة حوليات آداب عين شمس، (2024م). ركز البحث على الأبعاد التداولية في سورة الواقعة ضمن علم اللسانيات، مع إبراز طرق تنظيم النص القرآني للمعاني وتعزيز تفاعل القارئ. وأظهرت النتائج أن النص يوظف إستراتيجيات لغوية دقيقة لنقل الرسائل الدينية، ويحقق انسجاماً بين المعنى والأسلوب، كما تساعد الأبعاد التداولية في توجيه استجابة المتلقي وتعميق فهم الآيات.

رغم الاهتمام بدراسة الوظائف التداولية في النصوص القرآنية، لم تُدرس سورة النساء بعد من منظور هاليداي الوظيفي، مع التركيز على الوظائف الثلاث: التصورية، والتعالقية، والنصية. وتكمن أهمية هذه الدراسة في الكشف عن الطرق التي يوظف بها الخطاب القرآني اللغة لتحقيق التواصل والمعنى، وفهم دور الوظائف التداولية في تنظيم النص وتوجيه المتلقي.

2. الإطار النظري

2–1. الوظائف التداولية

لقد حظي مصطلح التداولية باهتمام واسع في الدراسات اللغوية الحديثة، لما له من دور بارز في الكشف عن العلاقة بين اللغة والسياق الذي تُستعمل فيه، إذ لم تعد اللغة تُدرس بوصفها نسقاً من البنى الصرفية والنحوية فحسب، بل بوصفها نشاطاً تواصلياً يتجاوز حدود الجملة إلى مقاصد المتكلمين ودلالات المواقف. ومن أجل الإحاطة بأصول هذا المفهوم في الفكر العربي، يجدر بنا الوقوف عند جذره اللغوي وما يحمله من دلالات أصيلة في معاجم العربية. تعود الجذور العربية لمصطلح التداولية إلى: «الجذر اللغوي "دول"، وله معان مختلفة؛ لكنها لا تخرج عن معاني التحول والتبدل، فقد ورد في معجم أساس البلاغة للزمخشري، "دول"، دالت له الدولة ودالت الأيام بكذا؛ وأدال الله بني فلان من عدوهم جعل الكرة لهم عليه؛ وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد، والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم»[1]. أما من حيث الاصطلاح، فالتداولية تعني «دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية، وهي دراسة الكلمات والعبارات والجمل، كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها في ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم»[2]. ظهر الاهتمام بالتداولية في إطار الدراسات اللسانية الحديثة التي سعت إلى تجاوز حدود البنية اللغوية نحو دراسة الاستعمال الفعلي للغة في سياقاتها المختلفة. وقد أسهم هذا التوجه في إبراز دور المتكلم والسياق في إنتاج المعنى، مما مهّد لظهور عدد من المفكرين الذين سعوا إلى تحديد مفهوم التداولية ومجالاتها. «يرجع أول استعمال لمصطلح التداولية لتشارلز "موريس" حيث يرى أنها تهتم بالعلاقات بين العلامات ومستعمليها. أما "ستالنكر" فيرى أن التداولية تدرس أفعال الكلام والسياقات التي تتم فيها، مركزاً على أفعال الكلام والسياق»[3]. المنهج التداولي استجابةً

[1] بن عمر، محمود، (1998م)، أساس البلاغة، بيروت، دار الكتب العلمية، ص 303.

[2] بهاء الدين، محمد مزيد، (2010م)، تبسيط التداولية: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، القاهرة، شمس للنشر والتوزيع، ص 18.

[3] النوامسي، مها، (2024م)، وظائف الخطاب التواصلي عند هاليداي وجاكبسون: رؤية تداولية، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، المجلد 43، العدد 4، 2820.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

للمشكلات التي نتجت عن التركيز على التحليل الشكلي للغة، إذ وسّع نطاق الدراسة ليشمل السياقات التفاعلية التي يجري فيها التواصل. وتكمن أهميته في:

«أ) معالجة صور القصور في اللسانيات البنيوية والتوليدية. ب) تحويل الدرس اللساني إلى درس للإنجاز اللغوي. ج) الاهتمام باللغة المستعملة من قبل المتكلم لا الاهتمام باللغة المجردة لذاتها ومن أجل ذاتها. د) الاهتمام بالسياق والتأكيد على العلاقة الوطيدة الموجودة بين المتكلم والسياق الخارجي والتأثير المباشر لهذا السياق على مقاصد المتكلم.»[1]. تتصل الوظائف التداولية بجوهر اللغة في بعدها التفاعلي، إذ تُعنى بكيفية توظيفها في مواقف التواصل لتحقيق أغراض متنوعة تتجاوز البنية الشكلية إلى مقاصد المتكلمين ودلالات الموقف. فهي تعبّر عن الأدوار التي تؤديها اللغة في الحياة اليومية، من نقل الخبرة والتعبير عن المواقف إلى تنظيم العلاقات الاجتماعية وبناء الخطاب. ويتحدد المعنى التداولي من خلال العلاقة بين المتكلم والسياق، حيث تتحول اللغة إلى فعل اجتماعي يشارك فيه الطرفان لتبادل النوايا والتأثير المتبادل. «وقد أسهم تأسيس علم التواصل في إطار اللسانيات، وتقدم الدراسات التواصلية على يد العديد من الباحثين اللسانيين في ظهور تصورات لغوية جديدة، حيث اعتبر هاليداي وظائف اللغة غير متناهية، وربطها باختلاف العشائر الإحيائية والأنماط الثقافية؛ فهو يركز وظائف اللغة في ثلاث وظائف: التصورية، والتعالقية والنصية»[2]. يشير هاليداي إلى أن «الوظائف الثلاث آليات تشكل أبعاداً متكاملة تصب في بوتقة وظيفة أساسية واحدة هي الوظيفة التواصلية، ودليله في ذلك أن عملية التواصل لا تتم إذا انتفت وظيفة من هذه الوظائف»[3]. وبناءً على ما سبق، يمكن القول إن الوظائف التداولية تمثل صلب الدراسة اللغوية الحديثة، إذ تتجاوز مجرد تحليل البنية لتتوجه نحو فهم اللغة كفعل اجتماعي متفاعل. فهي تكشف عن الدور الحيوي للمتكلم والسياق في إنتاج المعنى، وتؤكد أن اللغة أداة للتواصل، تتشكل فيها المقاصد والرسائل حسب المواقف والظروف الواقعية، مما يجعل التداولية جسراً لفهم العلاقة الديناميكية بين اللغة والمجتمع.

2-2. مفهوم الخطاب

الخطاب يمثل أحد أهم أدوات التعبير البشري، فهو الوسيلة التي من خلالها ينقل الإنسان أفكاره ومشاعره ويؤثر في محيطه الاجتماعي والثقافي. وليس الخطاب مجرد تراكيب لغوية، بل هو سياق متكامل يجمع بين المعنى والغاية والنية، ويعكس العلاقة بين المتحدث والمستمع، كما يظهر تفاعل اللغة مع الظروف الاجتماعية والثقافية المحيطة. يوضح الفراهيدي معنى الخطاب بقوله: «الخَطْبُ: سَبَبُ الأمر... والخِطَابُ: مُرَاجَعَةِ الْكَلام»[4]. أما الزمخشري فيصف الخطاب قائلاً: «خَطَبَ، خَاطَبَهُ أحسن الخِطَاب وهو المواجهة بالكلام»[5]. ومن هذا المنطلق، تحتوي هذه التعريفات اللغوية على عناصر متنوعة مثل المتحدث والمخاطب والخطاب، ما يعكس طبيعة الحوار الذي يربط بين قطبي التواصل. يشير الأمدي إلى أن الخطاب «اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام منى هو متهيئ لفهمه»[6]. يرى ميشال فوكو أن الخطاب هو «تلك الشبكة المعقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي أعيد إدماجها في عمليات تحليل الخطاب الذي يحمل بُعداً سلطوياً من المتكلم بقصد التأثير في المتلقي مستغلاً في ذلك كل الظروف الخارج لغويّة»[7]. ويُعتبر الخطاب أداة معقدة تتجاوز حدود الكلمات لتصبح وسيلة تواصل تؤثر في فهم المستمع وتعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية والثقافية. إنه إطار متكامل يجمع بين المعنى والنية والسياق، ليعكس طبيعة الاتصال البشري في أبعاده المختلفة.

---

[1] بوجمعة، عليجة، (2016م)، التداولية: دراسة في المجالات والفروع، مجلة الممارسات اللغوية، العدد 3، ص 166.

[2] ربيع الفريدي، طارق، (2021م)، البُعد التداولي في اللسانيات النظامية الوظيفية، مجلة جامعة الطائف للعلوم الإنسانية، المجلد 7، العدد 24، صص 430-432.

[3] رايص، نور الدين، (2014م)، اللسانيات المعاصرة في ضوء نظرية التواصل، الأردن، دار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط 1، ص 73.

[4] الخليل، بن أحمد الفراهيدي، (2003م)، كتاب العين، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ج 1، ص 419.

[5] الزمخشري، (1998م)، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ج 1، ط 1، ص 255.

[6] الشهري، عبد الهادي، (2004م)، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، ص 36.

[7] أبو زيد، نواري، (2009م)، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، الجزائر، بيت الحكمة، ط 1، ص 15.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

3. الإطار التحليلي

3-1. الوظيفة التصورية

تلعب اللغة دوراً محورياً في تشكيل إدراكنا للعالم من حولنا، فهي ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل أداة لتنظيم الأفكار وتجسيد التجارب. من خلالها نستطيع التعبير عن أحداثنا، ومشاعرنا، وأفكارنا، سواء كانت واقعية أو خيالية، كما تمنحنا القدرة على بناء صور ذهنية تتجاوز حدود الواقع المباشر. «فالوظيفة التصورية تقوم بترتيب عالم الكاتب أو المتحدث الحقيقي أو المتخيل، أي أن اللغة تشير إلى الأشخاص والأفعال والأحداث والحالات المتخيلة والحقيقية، ومثال ذلك عندما يقوم المرسل بإرسال رسائل ونصوص إلى المتلقي فتتحول هذه الرسائل والنصوص إلى مجموعة من الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الذاتية»[1].

تسلط هذه الآية الضوء على أصل الإنسان ووحدته، وتؤكد على العلاقة بين الإنسان وخالقه، مع التأكيد على الواجبات الدينية والاجتماعية التي تنظم سلوك الفرد تجاه الله والآخرين. كما تبرز الآية أهمية الروابط الأسرية والتكافل الاجتماعي، موضحة دور الإنسان في احترام هذه القيم والمحافظة عليها:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً[2].

من منظور الوظيفة التصورية لهاليداي، تصور الآية العالم البشري والاجتماعي على شكل شبكة من العمليات المتنوعة والمترابطة. فالخلق يمثل عملية مادية يقوم بها الفاعل الأعلى، وهو الله، إذ يتمثل في خلق النفس الواحدة وزوجها، ثم انتشار البشر، ما يعكس تصوراً للعالم المادي الطبيعي وسلسلة العلاقات الإنسانية الأساسية. أما الدعوة إلى التقوى فهي عملية عقلية أو نفسية توجه الإنسان نحو الوعي بمكانته أمام الخالق وواجباته تجاهه، وهو بذلك يصبح فاعلاً ومستهدفاً في الوقت نفسه، إذ تتحقق مسؤولية الإنسان من خلال إدراكه لهذه العلاقة وامتثاله لتوجيهاتها. وتبرز الآية الظروف التصورية من خلال الربط بين الأصل الواحد للبشر وتعدد الجنسين وانتشارهم في المجتمع، إضافة إلى الإشارة إلى العلاقة مع الأرحام، ما يعكس سياقاً اجتماعياً وأخلاقياً محدداً يوجه سلوك الإنسان. يظهر النص صورة متكاملة للوجود الإنساني، حيث تتفاعل العمليات المادية والروحية والاجتماعية في إطار واحد، ما يمنح الإنسان بُعداً مزدوجاً يجمع بين المسؤولية الفردية والوعي الأخلاقي والاجتماعي، ويبرز الدور المركزي لله كفاعل عليا يخلق ويراقب ويوجه، ما يجعل الوظيفة التصورية للنص غنية ومتكاملة، وتقدم رؤية شاملة للعلاقات بين الخالق والمخلوق، وبين الفرد والمجتمع، ضمن شبكة متشابكة من الأفعال، الأدوار، والظروف التي تحدد الحياة الإنسانية وتوازنها.

توضح الآية التالية المبادئ الأساسية التي توجه سلوك الإنسان تجاه الله والمجتمع، مع التركيز على الطاعة الدينية والالتزام الأخلاقي والاجتماعي. وتشمل هذه المبادئ الواجب تجاه الوالدين والأقارب والمساكين واليتامى والجيران والأصدقاء والمسافرين، مما يعكس أهمية التوازن بين المسؤوليات الفردية والجماعية:

وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالا فَخُوراً[3].

---

[1] النوامسي، مها، (2024م)، وظائف الخطاب التواصلي عند هاليداي وجاكبسون: رؤية تداولية، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، المجلد 43، العدد 4، ص 2835.

[2] النساء: 1.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تقدم الآية شبكة متشابكة من العمليات التي تبرز العلاقة بين الإنسان ومحيطه والخالق. تُظهر العمليات الروحية والعقلية في الدعوة للعبادة والطاعة لله وعي الإنسان بمكانته وارتباطه بالقيم الدينية، بينما العمليات المادية والاجتماعية في الإحسان للوالدين والأقارب والمساكين واليتامى والجيران والأصدقاء والمسافرين وما ملكت أيمانهم تكشف تفاعلات الإنسان مع المحيط الاجتماعي، حيث يضطلع بأدوار متعددة ويستجيب لمتطلبات متنوعة. تظهر الظروف التصورية من خلال تعدد الروابط الاجتماعية وأنماط الالتزام، مثل الروابط الأسرية والرعاية الاجتماعية والتفاعل مع المسافرين والمحتاجين، ما يوضح السياق الذي تحدد فيه الواجبات. تتداخل العمليات المختلفة لتبرز صورة الإنسان كفاعل مسؤول ومتفاعل، حيث تتوازن الإجراءات الفردية مع الالتزامات الجماعية، ويُظهر النص تأثير الرقابة الإلهية على سلوك الإنسان، ما يمنح أفعاله بُعداً أخلاقياً وقيمياً. تعكس الوظيفة التصورية في النص قدرة الآية على تقديم تصور متكامل للوجود الإنساني متعدد المستويات، يجمع بين الإدراك الروحي، والعلاقات الاجتماعية، والالتزام الأخلاقي، في نموذج مترابط يظهر الإنسان في شبكة من التفاعلات التي تحدد موقعه ودوره ومسؤولياته تجاه الآخرين والخالق.

تقدم الآية أحكام المواريث في حالة الكلالة، مع تحديد نصيب كل وارث وفق القواعد الشرعية. كما تبين العلاقات بين الورثة وعددهم ونوعهم، مسلطة الضوء على التوازن والعدل في توزيع الحقوق بين الأفراد:

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ[1].

تظهر الآية شبكة من العمليات المتنوعة التي تنظم العلاقات بين الورثة والميراث. فهناك عمليات مادية تتمثل في توزيع الإرث وتقسيم الأموال حسب الحالات المختلفة، وعمليات عقلية/توجيهية ترتبط بالاستفسار عن الأحكام وتطبيقها بشكل صحيح. تتضح الأدوار المتعددة للفاعلين والمستهدفين؛ فالورثة يظهرون كمستفيدين من هذه العمليات، بينما تتضح مسؤولية القائمين على التنفيذ في مراعاة التوازن والعدالة بين المستحقين. كما تظهر الظروف التصورية من خلال اختلاف الحالات بحسب وجود الورثة أو غيابهم، وعددهم، ونوعهم، إذ يختلف النصيب بحسب كون الوريث ذكراً أو أنثى، أو وجود أشقاء متعددين، ما يحدد كيفية توزيع الإرث. وتتداخل العمليات لتوضح علاقة الحقوق بالواجبات، والمسؤولية الفردية بالالتزام الاجتماعي، حيث يلتزم كل فرد بما خصه من نصيب ضمن شبكة مترابطة من العلاقات الأسرية والاجتماعية. كما يبرز النص دور الضوابط الشرعية في تنظيم هذه العمليات لضمان العدالة والتوازن، مع مراعاة الحالات الخاصة للورثة وعددهم، ما يعكس تنوع الظروف التي يتعامل معها الإنسان في سياق الأسرة والمجتمع. هذه الصياغة تمنح النص بُعداً تصورياً متكاملاً، يظهر الفرد في علاقته بالآخرين ضمن إطار من المسؤولية والالتزام والعدالة، ويبرز كيف تتفاعل العمليات المادية والاجتماعية والعقلية لتشكل نظاماً متوازناً يحقق التوزيع الصحيح للحقوق والواجبات.

3-2. الوظيفة التعالقية (التبادلية)

في التواصل اللغوي، لا يقتصر الكلام على نقل المعلومات فقط، بل يعكس أيضاً العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وموقف المتكلم من مضمون حديثه، سواء كان واثقاً أو متردداً. ومن هذا المنطلق تظهر الوظيفة التعالقية أو التبادلية التي تُبرز الدور الاجتماعي للمتكلم تجاه المخاطب، سواء أكان في موقع المخبر أم السائل. «والوظيفة التعالقية أو التبادلية هي المعبرة عن الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم

---

[3] المصدرنفسه: 36.

[1] المصدرنفسه: 176.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بالنسبة إلى المخاطب، كدور المخبر والسائل من جهة، والتعبير عن موقفه من فحوى خطابه كان يكون متيقنا أو شاكاً من جهة أخرى»[1].

تركز الآية على توجيه المؤمنين لطاعة الله ورسوله وأولي الأمر، مع توضيح الإجراءات الواجب اتباعها عند النزاع، بما يضمن تنظيم العلاقات الاجتماعية والدينية داخل المجتمع الإسلامي. الخطاب يتجه مباشرة إلى المؤمنين، ما يضع الآية في إطار التواصل المباشر بين الله والمخاطب البشري:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا[2].

تبدأ الآية بمخاطبة مباشرة باستخدام صيغة النداء للمؤمنين، ما يحقق الوظيفة التعالقيّة من خلال إقامة علاقة مباشرة وشخصية بين المتحدث والمخاطب، ويحدد هوية المتلقين ويشد انتباههم نحو ما هو مطلوب منهم. تأتي بعد ذلك الأفعال الأمرية "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر"، والتي تحدد نوع العلاقة المطلوبة، أي علاقة طاعة وامتثال، وتظهر السلطة الدينية والاجتماعية للمتحدث، مع التأكيد على الالتزام بالقيم الأخلاقية والقانونية. ثم تنتقل الآية إلى جزئية حل النزاعات: "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول"، حيث تظهر الوظيفة التعالقيّة في توجيه السلوك الجماعي وتعزيز التنظيم الاجتماعي، إذ تربط بين النزاع والرجوع إلى مرجعية عليا، ما يعزز التعاون والالتزام داخل المجتمع. وأخيراً، يضيف النص عنصراً تحفيزياً مرتبطاً بالإيمان: "إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً"، وهو ما يعكس البُعد العاطفي والتوجيه النفسي، إذ يحفز المخاطبين على الطاعة ويقوي الرابط الروحي بينهم وبين الله، ويجعل الطاعة مرغوبة ليس فقط اجتماعياً ولكن أيضاً نفسياً ودينياً. من منظور هاليداي، تُظهر هذه العناصر كيف تُوظف اللغة لإقامة علاقة تبادلية ومعنوية بين المتحدث والمخاطب، حيث تتداخل المخاطبة المباشرة، الأفعال الأمرية، التوجيه التنظيمي والتحفيز الإيماني لتشكيل شبكة علاقات قوية وواضحة، وهو جوهر الوظيفة التعالقيّة في التحليل الوظيفي للغة.

تتناول هذه الآية معالجة القتل الخطأ ضمن المجتمع الإسلامي، وتضع القواعد الشرعية للتكفير عن هذا الفعل وتعويض المتضررين، بما يحقق العدالة الاجتماعية ويضبط العلاقات الإنسانية. الخطاب موجّه إلى المؤمنين باعتبارهم أصحاب مسؤولية دينية وأخلاقية، ويؤسس لنظام سلوكي يقوم على احترام النفس البشرية وصيانة حقوق الآخرين:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً[3].

من خلال بنية النص، يظهر كيف يوظَّف الخطاب لإقامة علاقة تواصلية دقيقة بين المرسِل الإلهي والمخاطَب الإنساني. تبدأ الآية بإرساء قاعدة عامة تنفي عن المؤمن أن يقدم على القتل العمد، فتضع المتلقي في موقع المسؤولية الأخلاقية، وتؤسس منذ البداية لعلاقة قائمة على

[1] ربيع الفريدي، طارق، (2021م)، البُعد التداولي في اللسانيات النظامية الوظيفية، مجلة جامعة الطائف للعلوم الإنسانية، المجلد 7، العدد 24، ص 435.

[2] النساء: 59.

[3] المصدر نفسه: 92.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

التحذير والتقويم. ثم تنتقل اللغة إلى تفصيل حالات القتل الخطأ، مستخدمة تراكيب شرطية وأفعالاً ذات طابع إلزامي، ما يعكس التفاعل التنظيمي بين المتحدث والمخاطب. فالأوامر مثل "فتحرير رقبة مؤمنة" و"دية مسلّمة إلى أهله" لا تؤدي وظيفة تشريعية فحسب، بل تؤكد في الوقت نفسه على وجود رابطة اجتماعية وإنسانية تقتضي الإصلاح والتعويض. يُلاحظ أن الخطاب لا يقتصر على التوجيه الفردي، بل يوسّع دائرة العلاقة لتشمل الجماعة، إذ تُربط المسؤولية الشخصية بالنسق الجماعي من خلال أداء الدية لأهل القتيل أو العفو عن القاتل، وهو ما يعزز روح الترابط والتكافل داخل المجتمع. كما أن التنويع في الحالات التي تذكرها الآية – القتل في صفوف المؤمنين، أو ضمن جماعة عدوة، أو مع قوم بينهم ميثاق – يعكس إدراك الخطاب لاختلاف السياقات الاجتماعية والسياسية، فيتكيّف معها بلغة تحافظ على التوازن بين العدالة والرحمة. وفي ختام الآية، يأتي التعقيب الإلهي بوصف الفعل بأنه "توبة من الله" مقروناً بعلميّة الله وحكمته، ليضفي بُعداً روحياً على العلاقة، فيحوّل الطاعة القانونية إلى تواصل وجداني بين العبد وربه، حيث تتحول العقوبة إلى وسيلة للتقويم والإصلاح لا للعقاب فقط. وبذلك يتجلى البُعد التعالقي في هذه الآية من خلال تنوّع أساليب الخطاب بين التحذير، والتوجيه، والرحمة، وارتباطها بمنظومة من العلاقات الأخلاقية والاجتماعية والروحية. فاللغة هنا لا تُستخدم لنقل حكم شرعي فحسب، بل لتأسيس حوار مستمر بين الإنسان وربه وبين الإنسان ومجتمعه، وهو ما يعبّر بدقة عن جوهر الوظيفة التعالقيّة كما يصوغها هاليداي، حيث تتخذ اللغة دوراً تفاعلياً يبني العلاقات ويعيد تنظيمها ضمن شبكة من القيم الدينية والإنسانية.

تعكس الآية الآتية جانباً من التنظيم الأسري في المجتمع الإسلامي، وتبيّن الأسس التي تقوم عليها العلاقة بين الرجل والمرأة داخل الأسرة، من حيث المسؤولية والواجب والتكامل في الأدوار. يقدّم النص تصوراً يربط بين العدالة والرحمة في بناء الأسرة، مظهراً كيف ينبغي أن تُدار الحياة الزوجية في توازن يحفظ كرامة الطرفين ويصون الاستقرار الاجتماعي:

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً[1].

يبدأ الخطاب بتقرير مبدأ القوامة التي تُسند إلى الرجل تكليفاً ومسؤوليةً، ويربطها بعاملين هما التفضيل الإلهي والإنفاق المالي، فيُبرز بذلك العلاقة التعالقيّة القائمة على الرعاية والتكليف لا على الامتياز. إن اختيار الأفعال في هذا الموضع يوضّح طبيعة التواصل بين المتحدث والمخاطب، حيث تُبنى العلاقة على مبدأ التكامل في الوظائف، ويُوجَّه الخطاب بلغة توازن بين السلطة والواجب الأخلاقي. ثم يواصل النص وصف حال النساء الصالحات، اللواتي اتصفن بالطاعة لله والحفاظ على الغيب، وهو انتقال يعمّق البُعد التعالقيّ إذ يجعل الخطاب موجَّهاً إلى الطرفين معاً، فيرسّخ روح الشراكة والمسؤولية المتبادلة. هذا الوصف يمنح المرأة حضوراً فاعلاً داخل البنية الخطابية، ويعبّر عن تقدير لدورها في استقرار الحياة الزوجية، وهو ما يعكس تفاعلاً معنوياً متبادلاً بين النص والمخاطب. وحين ينتقل الخطاب إلى معالجة حالة النشوز، يتخذ أسلوباً تدريجياً يبدأ بالوعظ، ثم بالهجر في المضجع، ثم بالضرب غير المبرح، وهي تدرجات تبيّن أن الهدف من التوجيه ليس فرض السيطرة، بل إعادة الانسجام إلى العلاقة عبر وسائل إصلاحية متدرجة تراعي طبيعة الموقف. هذا التدرج يعكس بُعداً تواصلياً رفيعاً في الخطاب القرآني، إذ يقدّم حلّاً إنسانياً يعالج الخلاف بلغة هادئة تحفظ للمرأة كرامتها وتمنع انكسار العلاقة الأسرية. ويأتي ختام الآية بتذكير موجَّه للرجال بعدم تجاوز حدودهم في حال عادت الطاعة، ليضع قيداً أخلاقياً على سلطة القوامة ويربطها برقابة الله العلي الكبير. هذا الختام يضفي على العلاقة الزوجية بُعداً روحياً، فيتحوّل الخطاب من تنظيم السلوك الظاهر إلى تقويم الضمير الإنساني وربطه بالمحاسبة

[1] المصدر نفسه: 34.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الإلهية. يتجلّى البُعد التعالقي في النص من خلال تنوّع الأساليب بين التوجيه، والوصف، والتحذير، والتحفيز، بحيث تشكّل اللغة أداةً لبناء علاقة متوازنة تجمع بين الحقوق والواجبات والرقابة الأخلاقية. ومن منظور هاليداي، تتضح الوظيفة التعالقيّة هنا في توظيف اللغة لتحقيق التواصل الاجتماعي وتنظيم العلاقات الإنسانية وفق قيم التكامل والعدل والرحمة، مما يجعل الخطاب القرآني نموذجاً دقيقاً للعلاقات التبادلية المتوازنة في اللغة الوظيفية.

3-3. الوظيفة النصية

في عالم اللغة وتحليل النصوص، تُعتبر عملية الترابط داخل النص من العناصر الجوهرية التي تكشف عن تماسك المعاني واتصال الأفكار ببعضها البعض. فهم هذا الترابط لا يقتصر على قراءة الكلمات وفهمها بشكل منفصل، بل يتطلب قدرة على النظر الشامل إلى النص ككل، والتمكّن من تلمّس العلاقات المتشابكة بين أجزائه المختلفة. وهذه العملية «تتطلب قدرة على النظر الشامل، وتستلزم دقة في تلمس العلاقات المتشابكة وتحتاج إلى بصر بأساليب تشكيل الظواهر المشتركة»[1]. يلعب تنظيم النص وربط أفكاره دوراً مهماً في إيصال المعنى بوضوح، ويساعد القارئ أو المتلقي على متابعة المحتوى وفهمه بسهولة. «أما الوظيفة النصية: أي تقوم اللغة بإنتاج النصوص والربط بين أجزاء الخطاب الواحد بما تقدمه له من وسائل الربط وخصائص السياق التي تستخدم اللغة فيه، ومثال ذلك الصور والمكالمات الهاتفية والرسائل النصية»[2].

تحدد هذه الآية نصيب كل من الرجال والنساء من ميراث الوالدين والأقربين، وتوضح الطريقة التي يوزع بها المال بطريقة عادلة ومنظمة. الخطاب يهدف إلى وضع أسس واضحة لتوزيع الحقوق، ويُعيد رسم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية داخل الأسرة بما يضمن الاستقرار ويحدّد لكل طرف ما له وما عليه من واجب:

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً[3].

تبدأ الآية بالحديث عن نصيب الرجال، ثم تعاد الصياغة نفسها للنساء، وهو ترتيب متوازن يسهّل إدراك القارئ للفكرة الأساسية ويُثبت مبدأ الاستحقاق بشكل متناسق. هذا البناء المتقابل يخلق إيقاعاً داخلياً للنص ويقوّي إحساس القارئ بالعدالة في التوزيع، إذ يُظهر كل طرف في ضوء واضح دون أن يطغى أحدهما على الآخر. تكرار عبارة مما ترك الوالدان والأقربون يربط الجملتين ويؤسّس وحدة مرجعية مشتركة بين المستفيدين، ويجعل انتقال المعنى سلساً بين الفكرة الخاصة بالرجال والفكرة الخاصة بالنساء. إضافة عبارة مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً تضيف بُعداً تنظيمياً للنص، فهي تحدد حدود الاستحقاق بوضوح، وتغلق الحكم بطريقة نهائية تؤكد القطعية وتزيل أي غموض حول مقدار الحقوق. الترتيب الداخلي للجمل يعكس تسلسلاً منطقياً يبدأ بتحديد المستحق، ثم مصدر الميراث، وينتهي بتحديد مقدار النصيب. هذا التسلسل يسهّل تتبع المعلومات خطوة خطوة، ويجعل المعنى يتدرج من المعلومة العامة إلى التفصيل، ما يُعزز وضوح الرسالة ويجعلها سهلة الإدراك والفهم. كما أن التناسق بين الكلمات والعبارات، واستخدام تراكيب متقابلة ومنسقة، يوفّر إيقاعاً معتدلاً للنص، مما يساعد على تثبيت المعلومات في ذهن المتلقي ويجعلها متماسكة عند القراءة أو التلاوة. من منظور هاليداي، يظهر النص كيف

[1] الزعبي، معاذ، (2017م)، الوظائف النصية لعناصر الاتساق "تطبيق على سورة هود، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 44، العدد 4، ص 295.
[2] المنيزل، تمام، (2020م)، الوظيفة عند هاليداي: دراسة تحليلية، مجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، المجلد 2، العدد 1، ص 28.
[3] النساء: 7.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يمكن للغة أن ترتب المعلومات بشكل متدرج ومتسلسل بحيث يكون كل جزء مرتبطاً بالجزء الآخر، ويصبح الانتقال بين عناصر المعنى سلساً ومنطقياً. فالتكرار البنيوي والتقابل بين الرجال والنساء، والختام المحدد بالنصيب المفروض، يعمل جميعها على توجيه المتلقي نحو الفهم الصحيح وتثبيت المعنى، مما يجعل الخطاب واضحاً، مترابطاً، وسهل الاستيعاب، ويحقق الغاية التوجيهية التي ينشدها النص دون الحاجة لتفسيرات خارجية.

تتناول الآية توزيع الميراث بين الأبناء والآباء وفق قواعد دقيقة تحدد نصيب كل فرد حسب جنسه وعدد المستحقين. الخطاب يقدم تنظيماً مفصّلاً للحقوق داخل الأسرة، ويضع معايير واضحة لحساب الحصص، بما يحقق العدالة ويراعي الفروق بين الحالات المختلفة، سواء كان للمتوفّى أولاد أم لم يكن:

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً[1].

يفتتح النص بتحديد نصيب الذكر مقارنة بالأنثى، مُبرزاً القاعدة الأساسية التي تحكم توزيع الميراث بين الأبناء، ثم ينتقل إلى تفصيل الحالات المختلفة للنساء: إذا تجاوزن اثنتين، أو كن واحدة، موضحاً نصيبهن بدقة. هذا التنوع في الطرح يجعل المعنى متدرجاً، بحيث ينتقل القارئ من القاعدة العامة إلى التفاصيل الاستثنائية بسلاسة، ويمنح كل حالة وضوحها الخاص داخل السياق. كما يعالج النص توزيع حصص الوالدين، مُوضحاً نصيب كل منهما سواء كان للمتوفّى ولد أم لم يكن، مع تحديد الفرق في الحصة بناءً على وجود إخوة أو لا، ما يضفي بُعداً تنظيمياً على المعلومات ويجعل القارئ قادراً على تتبع الحقوق بشكل متسلسل. الصياغة المتدرجة والانتقال المنطقي بين الحالات المختلفة يظهران قدرة اللغة على ترتيب المعنى وتنظيمه داخل النص بحيث تكون كل معلومة متصلة بالأخرى بطريقة مترابطة وواضحة. الختام بتذكير القرّاء بعدم معرفة أي من الورثة أقرب نفعاً لهم، مع التأكيد على أن هذه الأحكام فرض من الله، يضيف بُعداً أخلاقياً وروحياً للنص، ويجعل القواعد ليست مجرد أرقام وجداول، بل جزءاً من منظومة شاملة تربط بين الحقوق الفردية والمسؤولية الدينية. التكرار الجزئي في تحديد الحصص مع التغير الطفيف بحسب الحالات يخلق شبكة مترابطة من المعلومات تجعل النص واضحاً وسهل التطبيق، كما يحافظ على انسجامه الداخلي ويمنع أي لبس في الفهم. وفقاً لهاليداي، يُظهر النص كيف تُستثمر اللغة في تنظيم المعلومات بطريقة متسلسلة ودقيقة، بحيث يُمكن للقارئ استيعاب الحقوق والالتزامات خطوة خطوة. ترتيب الجمل وتدرج التفاصيل يضمن أن كل عنصر من عناصر الميراث مرتبط بالآخر، ويجعل النص سهل المتابعة والتنفيذ، كما يعكس وعياً لغوياً في تصميم الخطاب بحيث يؤدي الرسالة المطلوبة بفعالية ويحقق التوازن بين جميع الأطراف المستفيدة.

تعالج هذه الآية مسألة التعامل مع النساء اللواتي يأتين فاحشةً، مع وضع معايير دقيقة لإثبات الواقعة وتنفيذ الإجراءات، بما يوازن بين ضبط السلوك الاجتماعي والحفاظ على النظام الأسري، ويحدد نهاية الحالة سواء بالوفاة أو بتيسير مشيئة إلهية، ما يعكس حرص النص على تحقيق العدالة والمرونة معاً:

[1] المصدر نفسه: 11.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وَاللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلا[1].

هذه الآية تضع الحالة قيد التطبيق مباشرة، مع تعيين الفئة المستهدفة وخطوات التعامل معها، ما يخلق وضوحاً وتنظيماً داخلياً للمعلومات. تتضمن المرحلة الأولى استدعاء أربعة شهود، وهو معيار عددي دقيق يضبط الإثبات ويؤكد مشاركة الجماعة في تطبيق الحكم، ما يضفي على الإجراء صفة الرسمية والدقة. الانتقال من الشهادة إلى الاحتجاز في البيوت يظهر تسلسلاً منطقياً عملياً، حيث يرتبط إثبات الواقعة مباشرة بتنفيذ الإجراء، مع تحديد مدة أو شرط لانتهاء الاحتجاز، إما بالموت أو بفتح سبيل تيسره مشيئة الله، فتتحقق بذلك موازنة بين الصرامة والرحمة، ويظل الإجراء قابلاً للتطبيق العملي مع مراعاة التدخل الإلهي. تُوظف التراكيب العددية والضمائر المرجعية والإيقاع بين الجمل الاسمية والفعلية لخلق تدرج واضح في المعلومات، بحيث يبدأ من تعريف الحالة، ثم الانتقال إلى الإثبات، ثم الإجراءات، وأخيراً النتيجة المحتملة، ما يسهل على القارئ أو المتلقي متابعة التسلسل العملي وفهم العلاقات بين عناصر الحدث بشكل متكامل. الجمع بين الصرامة الإجرائية والمرونة في النهاية يخلق توازناً يضمن فهم العملية برمتها بدون غموض، ويظهر النظام الداخلي للخطاب وقدرته على تنظيم المعلومات بشكل متماسك. من منظور هاليداي، يوضح النص كيفية ترتيب المعاني والمعلومات بطريقة مترابطة، بحيث ترتبط كل خطوة بالتي تليها وتتيح للقارئ تتبع التسلسل الكامل بسهولة. التدرج البنيوي في تحديد الحالة، واستدعاء الشهود، وفرض الإجراءات، وتحديد النتائج المحتملة يجعل الخطاب واضحاً، مترابطاً، وفعالاً في توصيل المعلومات العملية، كما يعكس قدرة اللغة على تنظيم المعنى وتوجيه المتلقي خطوة بخطوة نحو الفهم الكامل والمتسق.

الخاتمة

– تتجلى الوظائف التداولية في سورة النساء بشكل واضح من خلال ثلاثة مستويات رئيسية وفق منظور هاليداي الوظيفي. أولاً، الوظيفة التصورية التي تعكس كيفية تصور النص للعالم الإنساني والاجتماعي، من خلال عرض خلق الإنسان، علاقاته الأسرية، والواجبات الدينية والاجتماعية، ما يمنح النص قدرة على بناء صور ذهنية متكاملة تجمع بين العمليات المادية والروحية والاجتماعية. ثانياً، الوظيفة التعالقيّة أو التبادلية التي تؤكد العلاقة بين المتحدث والمخاطب، حيث يستخدم النص صياغات مباشرة، أوامر تحفيزية، وتوجيهات تنظيمية لتنظيم سلوك الإنسان وتعزيز الالتزام الأخلاقي والديني، ما يرسخ شبكة من العلاقات الاجتماعية والتواصل الروحي. ثالثاً، الوظيفة النصية التي تظهر في ترابط عناصر النص وبنيته الداخلية، عبر التكرار، والتوازن، والتسلسل المنطقي، والتدرج التفصيلي في عرض الأحكام، ما يسهل على المتلقي متابعة المعلومات وفهمها بدقة، ويجعل النص مترابطاً وموحداً في معناه.

– تسهم الروابط اللغوية والتراكيب الداخلية في سورة النساء بشكل جوهري في تعزيز الوظيفة النصية إذ تنظم المعلومات وتربط بين أجزاء النص بطريقة مترابطة ومتكاملة. فالتكرار البنيوي للعبارات المتقابلة بين الرجال والنساء في موضوع الميراث والتدرج التفصيلي في توضيح الحقوق والواجبات يخلق وحدة مرجعية مشتركة بين الأفكار ويسهّل على القارئ الانتقال من المعلومة العامة إلى التفاصيل الدقيقة. كما يعمل ترتيب الجمل والتسلسل المنطقي للأحداث والإجراءات مثل استدعاء الشهود وفرض العقوبات على إضفاء وضوح وتنظيم داخلي للنص ما يجعل المعنى متدرجاً وسهل المتابعة. استخدام هذه الروابط والتراكيب لا يضمن فقط فهم الأحكام بل يعزز انسجام النص ويتيح

[1] المصدر نفسه: 15.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

للقارئ إدراك العلاقات بين الأفعال والواجبات والنتائج بشكل متسق مظهراً النص في صورة وحدة مترابطة تجمع بين الغاية الإرشادية والتنظيمية والروحية.

– تُظهر سورة النساء قدرة النص على بناء تصور متكامل للواقع الإنساني والاجتماعي والديني، حيث تُبرز العلاقات بين الأفراد وبين الإنسان وخالقه بشكل مترابط وواضح. من خلال عرض الأحكام الشرعية والواجبات الأخلاقية، يستطيع القارئ تكوين صورة ذهنية دقيقة عن الأدوار والمسؤوليات المختلفة، مع إدراك الأبعاد الروحية والاجتماعية التي تحكم سلوك الإنسان وتفاعلاته مع محيطه. النص يعكس شبكة من العمليات المتنوعة، تشمل المادية والعقلية والاجتماعية، ما يمنح المخاطب فهماً شاملاً للعلاقات بين الواجبات الفردية والجماعية وكيفية تحقيق التوازن بينهما.

– الوظيفة التعالقيّة تتضح في النص من خلال أساليب المخاطبة المباشرة، الأوامر الإرشادية، والتحفيز الروحي، ما يجعل المخاطب شريكاً نشطاً في تطبيق الرسائل الأخلاقية والدينية. النص يعكس اهتماماً دقيقاً بتنظيم العلاقات الاجتماعية، حيث يربط بين الالتزام الفردي بالقيم الدينية والتفاعل الجماعي مع المجتمع. كما تُبرز الآيات استخدام أساليب متنوعة مثل التحذير، والوصية، والشرح التفصيلي للحالات المختلفة، مما يتيح للمخاطب فهم مسؤولياته وموقعه ضمن شبكة من العلاقات الأخلاقية والاجتماعية والروحية.

– تتجسد الوظيفة النصية من خلال تنظيم المعلومات وترابط الأفكار ضمن النص بطريقة دقيقة ومتسلسلة، ما يسهل على القارئ تتبع الحقوق والواجبات خطوة بخطوة. يستخدم النص التكرار البنيوي، والتدرج التفصيلي، والتوازي بين الجمل لتوضيح الأحكام بشكل متماسك، مما يعزز وضوح المعنى ويجعل الانتقال بين الأفكار سلساً. هذا الترتيب الداخلي يتيح للقارئ إدراك العلاقات بين مختلف عناصر النص، ويعكس حرص القرآن على تقديم محتوى مترابط يغطي جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية والدينية ضمن سياق واحد متكامل.

المراجع

القرآن الكريم

أبو زيد، نواري، (2009م)، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، ط 1، الجزائر: بيت الحكمة.

بن عمر، محمود، (1998م)، أساس البلاغة، بيروت: دار الكتب العلمية.

بوجمعة، عليجة، (2016م)، «التداولية: دراسة في المجالات والفروع»، مجلة الممارسات اللغوية، العدد 3، صص 159-176.

بهاء الدين، محمد مزيد، (2010م)، تبسيط التداولية: من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، القاهرة: شمس للنشر والتوزيع.

الخليل، بن أحمد الفراهيدي، (2003م)، كتاب العين، ج 1، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية.

رايص، نور الدين، (2014م)، اللسانيات المعاصرة في ضوء نظرية التواصل، ط 1، الأردن: دار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع.

ربيع الفريدي، طارق، (2021م)، «البُعد التداولي في اللسانيات النظامية الوظيفية»، مجلة جامعة الطائف للعلوم الإنسانية، المجلد 7، العدد 24، صص 411-448.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الزعبي، معاذ، (2017م)، «الوظائف النصية لعناصر الاتساق "تطبيق على سورة هود"»، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 44، العدد 4، صص 295-311.

الزمخشري، (1998م)، أساس البلاغة، ج 1، ط 1، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية.

الشهري، عبد الهادي، (2004م)، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط 1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

المنيزل، تمام، (2020م)، «الوظيفة عند هاليداي: دراسة تحليلية»، مجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، المجلد 2، العدد 1، صص 22-32.

النوامسي، مها، (2024م)، «وظائف الخطاب التواصلي عند هاليداي وجاكبسون: رؤية تداولية»، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، المجلد 43، العدد 4، صص 2812-2840.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)